في الطريق إلى دولة الوحدة

احمد الحبيشي

خلال الفترة الممتدة بين 1978- 1989م نجح الرئيس السابق الزعيم علي عبدالله صالح في أن يعيد للثورة اليمنية زخمها الداخلي، وتحرير قرارها الوطني المستقل من الإرتهان للخارج، كما تمكّن في الوقت نفسه من وضع حد حاسم للصراعات الدامية على السلطة، وإشاعة مناخ الحوار والقبول بالآخر كشرط لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي عصفت بالبلاد خلال عقد ونيف من السنوات قبل تسلمه مقاليد الحكـم في السابع عشر من يوليو 1978م، لأمر الذي استلزم توحيد وإستنهاض كل الجهود الوطنية المخلصة لتجنيب الثورة اليمنية مخاطر الركود والجمود، وإخراجها من منعطفها الخطير الذي وصلت اليه.

منذ اليوم الأول لتسلمه مقاليد السلطة السياسية في السابع عشر من يوليو 1978م أدرك الرئيس الأسبق علي عبدالله صالح حقيقة أن خلاص اليمن من الأزمات السياسية والصراعات الداخلية على السلطة لايتحقق بدون إعادة الإعتبار للثورة اليمنية وأهدافها، وتجسيد واحديتها في ميدان الممارسة العملية.. ولعل نجاحه غير المسبوق في قيادة شؤون البلاد طوال 33 عاما يعد دليلاً أكيداً على استيعابه العميق للدروس والخبرات المستخلصة من مسيرة الثورة اليمنية بكل إنجازاتها وإخفاقاتها.

صحيح ان الثورة اليمنية نجحت في الإطاحة بالنظام الإمامي الإستبدادي وإقامة النظام الجمهوري وتحرير الوطن من الإستعمار وتحقيق استقلاله الوطني، بيد أن هذه المكاسب الوطنية العظيمة كادت ان تفقد وهجها ومضامينها الحقيقية طالما بقي الوطن مشطراً وظلت الديمقراطية غائبة.

كان استقلال الشطر الجنوبي في 30 نوفمبر 1967م آخر محطة توقفت عندها مسيرة إنجاز الأهداف الإستراتيجية للثورة اليمنية، ولم يعد بالإمكان تجديد وتنشيط آليات الإنجاز بدون استكمال ما تبقى من تلك الأهداف وترسيخ وتطوير ما تحقق منها.

في الإتجاه نفسه كانت الثقافة السياسية السائدة في شطري الوطن تكرس البعد الإيديولوجي والسياسي الواحد على حساب التعددية والتنوع، ما أدّى الى هيمنة النزعات الشمولية التصفوية التي اوجدت بيئة انقسامية مغذية للصراعات السياسية الداخلية، وعطّلت في نهاية المطاف تطوّر المجتمع في مختلف الميادين.

من نافل القول ان الثورة اليمنية (26 سبتمبر - 14 اكتوبر) حددت منذ لحظة انطلاقتها الأولى معالم الطريق نحو المستقبل، إذْ بلورت منظومة متماسكة ومترابطة من الأهداف الإستراتيجية التي تمحورت حول ضرورة تحرير الوطن من الإستبداد والإستعمار، وتحقيق الوحدة اليمنية وبناء المجتمع الديمقراطي.

مما له دلالة عميقة ان يجعل الرئيس علي عبدالله صالح من قرار مشاركته في الإحتفال بالعيد الثاني والعشرين للإستقلال الوطني عام 1989م , موعداً لتدشين محطة وطنية جديدة وحاسمة تستهدف إغلاق ملف التشطير وتحقيق وحدة الوطن والتحول نحو الديمقراطية التعددية والحرية.

حدث ذلك قبل سبعة وعشرين عاماً يوم أعلن الرئيس علي عبدالله صالح من وادي (عـنـّة) بمديرية العدين في محافظة إب عزمه على زيارة عدن للمشاركة في احتفالات العيد الثاني والعشرين للاستقلال، وأطلق من بطن ذلك الوادي الجميل مبادرته الوحدوية الخالدة التي توجت بالتوقيع على اتفاق وحدوي تاريخي أعاد للوطن وحدته المنشودة على أسس سلمية وديمقراطية.

كان الوطنيون اليمنيون يتطلعون الى تتويج كفاحهم الوطني المسلح ضد الإستعمار البريطاني بتحرير الشطر الجنوبي من الوطن الغالي، وإعادة تحقيق الوحدة اليمنية تجسيداً لمبادئ الثورة اليمنية (26 سبتمبر - 14 اكتوبر) ووفاءً لدماء وتضحيات الشهداء الذين ناضلوا تحت رايات التحرر الوطني والوحدة، بيد ان ظروفاً إستثنائية حالت دون تحقيق ذلك الهدف الذي لم يتوقف النضال الوطني في سبيل إنجازه بعد الإستقلال وطوال سنوات التشطير. بوسعنا القول انه كان بإمكان الرئيس السابق علي عبدالله صالح اختيار أي توقيت مناسب لإطلاق مبادرته الوحدوية الجسورة، غير ان اختياره يوم الإحتفال بعيد الإستقلال في الثلاثين من نوفمبر 1989م ليكون نهاية لعهود التشطير، جسّد وفاءه للثورة اليمنية وتاريخها وأهدافها، وحرصه على اهمية تجسيد العلاقة العضوية بين الإستقلال والوحدة، وإصراره على مواصلة إعادة الإعتبار لتضحيات الشهداء الذين سطروا بدمائهم الزكية ملاحم الكفاح الوطني ضد المستعمرين الذين كان احتلالهم للجزء الجنوبي من الوطن، يشكل عائقاً امام تحقيق حلم شعبنا في بناء يمن حر ديمقراطي موحد.

هكذا كان يوم الثلاثين من نوفمبر المجيد عيداً للإستقلال وإنطلاقة جديدة وحاسمة نحو الوحدة والديمقراطية، والدفع بمسيرة الثورة اليمنية الواحدة (26 سبتمبر - 14اكتوبر) الى ذرى التاريخ.

تدل القراءة المتبصّرة لمسار الأحداث التي سبقت زيارة الرئيس السابق علي عبدالله صالح لمدينة عدن، وتوقيعه اتفاق 30 نوفمبر الوحدوي في ذروة الإحتفالات بالعيد الثاني والعشرين للإستقلال الوطني، على ان الرجل كان يدرك جيداً الترابط البنيوي الوثيق بين الوحدة والديمقراطية كهدفين متماسكين يصعب بدونهما تجديد وهج الثورة اليمنية، وإعادة الإعتبار لتاريخها وأهدافها الوطنية العظيمة.

بعض القراءات المستعجلة تخلص الى ان الرئيس علي عبدالله صالح فاجأ قادة الحزب الإشتراكي اليمني في الشطر الجنوبي آنذاك بقرار زيارة مدينة عدن، وإعلان عزمه على توقيع اتفاق وحدوي غير مسبوق اثناء تلك الزيارة. ربما لا تصلح قراءة كهذه لمعرفة الأبعاد العميقة لذلك الحدث النوعي الذي يندرج في سياق عمليات التغيير الثوري بكل ما تحمله من معنى.. فالرئيس لم يفاجئ قيادة الحزب الإشتراكي بمشروعه الوحدوي يوم اعلن في وادي (عنـّة) عزمه على زيارة عدن لتوقيع اتفاق وحدوي ينهي التشطير ويلغي الشخصيتين الدوليتين للجمهوريتين القائمتين فوق الأرض اليمنية، بل انه فاجأهم قبل ذلك بدعوته لجنة التنظيم السياسي المشتركة للإنعقاد في تعز مطلع نوفمبر 1989م , وهي اللجنة الوحيدة من لجان الوحدة التي لم تجتمع منذ إعلانها في طرابلس عام 1972م بسبب حساسية القضايا الشائكة التي أنيطت بهذه اللجنة , وفي مقدمتها صيغة العمل السياسي والحزبي في دولة الوحدة المنشودة !!.

واتذكر انني سألت الرئيس الإسبق علي ناصر محمد في بداية الثمانينات عن اسباب عدم ادراج هذه اللجنة ضمن برنامج تمت المصادقة عليه آنذاك من قبل قيادتي الشطرين لتنشيط عمل لجان الوحدة، فأجابني : «لأنها لو انعقدت ستسير فوق حقل ألغام»!!

مناقشات مفتوحة

خلال الفترة من 31 اكتوبر - 2 نوفمبر 1989م عقدت لجنة التنظيم السياسي المشتركة اجتماعات دورتها الأولى في مدينة تعز برئاسة الأخوين الدكتور عبدالكريم الأرياني والأستاذ سالم صالح محمد.. وبعد انتهاء الجلسة الأولى توجهت اللجنة الى محافظة إب حيث اقام محافظها - آنذاك - الأستاذ صالح عباد الخولاني حفل غداء بوادي " عـنّـة " بمديرية العدين على شرف المشاركين في اللجنة المشتركـة , تبعه منتدى " قات " كبير في منزل أحد رجال الأعمال في إب، حضرته نخبة من ألمع الشخصيات السياسية والاجتماعية والثقافية ورجال الأعمال في المحافظة.

سعَد كاتب هذه السطور كثيراً بأنه كان واحداً من المشاركين في اعمال تلك اللجنة ومناقشات وادي " عـنـّة " .. ولسوف يسجل التاريخ بأحرف من نور لمديرية العدين انها احتضنت ولأول مرة في تاريخ اليمن الحديث اول نقاش حر ومفتوح اجمع المشاركون فيه على ضرورة الوحدة والديمقراطية والتعددية وحرية الصحافة والتداول السلمي للسلطة، الأمر الذي اعطى اللجنة المشتركة زخماً قوياً عند عودتها الى تعز واستئناف عملها في اليوم التالي، وأزال عن طريقها حاجز الخوف من حقل الألغام المتمثل في خيار التعددية الحزبية الذي كان عقدة كل الدساتير والأزمات والصراعات السياسية التي عصفت ببلادنا منذ قيام ثورة 26 سبتمبر 1962 وتحقيق الإستقلال الوطني في 30 نوفمبر 1967م. لا أبالغ حين أقول بأن نتائج عمل اللجنة المشتركة للتنظيم السياسي - التي انعقدت في تعز بمبادرة شجاعة من الرئيس الأسبق علي عبدالله صالح وتحت رعايته - ازاحت عقبة كأداء عن طريق مشروع الوحدة الذي بادر به ايضاً الرجل نفسه.. ومما له مغزى عميق ان الرئيس اختار وادي "عـنـّة" الذي يمكن وصفه بوادي الحرية مكاناً لإعلان مشروعه الوحدوي الديمقراطي، بعد اسبوع واحد من مناقشات وادي " عـنـّة " الحُرّة والعلنية حول سبل معالجة إشكاليات الوحدة والديمقراطية.

قبل سبعة أعوام تقريبا التقيت الصديق صالح عباد الخولاني محافظ إب الأسبق، واثناء الحديث تذكرنا لقاء وادي " عـنـّة " التاريخي.. ولفت انتباهي قول الخولاني بأن الرئيس علي عبدالله صالح فاجأه - هو الآخر - بزيارة محافظة إب بعد اسبوع من انتهاء عمل اللجنة المشتركة للتنظيم السياسي , وطلب منه ان يتناول طعام الغداء في وادي "عـنـّه" الذي احتضن اول مناقشة حرة ومفتوحة حول قضية الوحدة وقضية الديمقراطية والتعددية الحزبية برعاية الأخ الرئيس الأسبق.. والأهم من ذلك قوله - أي الخولاني - بأنه فوجئ مرة أخرى بعد الغداء بأن الرئيس أعلن في لقاء جماهيري - لأول مرة وبصورة لم تكن متوقعة - مشروعه الوحدوي الذي فاجأ به الجميع، مؤكداً في ذلك الخطاب أمام الجماهير الحاشدة في وادي "عـنـّه" عزمه على زيارة عدن في الثلاثين من نوفمبر 1989 للمشاركة في احتفالات العيد الثاني والعشرين للإستقلال الوطني , وتصميمه على أن يجعل من هذه المناسبة إنطلاقة جديدة لمشروع وحدوي ديمقراطي جديد، ينهي عهود التشطير، وينقل البلاد الى ذرى الوحدة والديمقراطية.

الوحدة اليمنية تتجسد في تصدّي الزعيم للعدوان

الدكتور/ عبده يحيى هديش *

مثّل الميثاق الوطني نقطة الانطلاق الحقيقية لمسيرة إعادة تحقيق الوحدة اليمنية المباركة والتي توجت بالإعلان عنها يوم الثاني والعشرين من مايو المجيد عام 1990م، ولأن الزعيم المؤسس كان محور الارتكاز للميثاق الوطني فقد قام بالرص الوحدوي للصفوف الوطنية ارتكازاً على الجانب التاريخي من شخصيته والذي تشكلت على أساسه مفردات توجهاته السياسية والثقافية والوطنية ففهمه العميق وإلمامه الواسع بتاريخ هذه الأمة اليمانية العظيمة ومآثرها وواحدية مصيرها وانحدار نسبه من أسرة حميرية عريقة كان الأسعد الكامل التبع اليماني الأصيل احد ملوكها وأشهرهم وهو الذي وحد اليمن حينها ومعظم الجزيرة العربية تحت حكمه القوي الذي دام عمراً مديداً.

إضافة إلى أن الزعيم الموحد تشرب معاني الوحدة الوطنية عبر مراحل نضاله الوطنية المختلفة حيث كان أحد ثُوار الـ26 من سبتمبر ضد الحكم الإمامي الكهنوتي الذي حكم شمال اليمن والتى وقف فيها أبناء الجنوب حين كان تحت نيران الاستعمار البريطاني إلى جانب ثورة الـ26 من سبتمبر الفتية وسقوا بدمائهم تربة الوطن في العديد من المناطق شمال اليمن، ومن ثم انطلق أبناء الشمال والجنوب سوية للنضال والكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن حتى نيل الاستقلال الوطني ودحر آخر جندي بريطاني من أرض الوطن.

وبعد ذلك عايش الزعيم الموحد علي عبدالله صالح فترات عصيبة بعد ثورة سبتمبر وحتى اختياره من مجلس الشعب في عام 1978م حكم الوطن وهو يحمل كفنه في يده رغم كل الاحتقانات التي كانت حينها، ولم يكتف بتحاشي تكرارها، بل ذهب إلى صياغة البدائل، ورسم معادلات توازن جديدة وذات خصوصية يمنية تسير بمحاذاة الواقع اليمني دون أن تتجاوزه إلى أي مستوى كان من المثاليات الفكرية والقوالب السياسية الجاهزة. فالزعيم علي عبدالله صالح لم ينتظر حتى يبلغ التشتت الوطني أقصى مداه فيستنجد بالجماهير، ويرمي الشباك للقوى الوطنية باسم مؤتمر شعبي أو ميثاق وطني.. بل على العكس من ذلك فقد جاء القرار الجمهوري رقم (5) لسنة 1980م بالميثاق الوطني عقب عدة خطوات سابقة عززت الثقة بنوايا الزعيم الموحد صالح وجديته في تطوير مناهج حكم الدولة حتى لدى أشد المناوئين له، فمثلاً كان هناك تأسيس لمجلس الشورى، وانتخابات مجالس بلدية، وتوسيع في أعداد واختصاصات مجلس الشعب، وإصدار قانون انتخابات وغيرها، علاوةً على ذلك لم يكن القرار أحادي الأسس، بل شمل الفكر والأداة معاً في نفس القرار، وذلك الأمر أعطى الموضوع فهماً أوسع وأوضح، وجعله أكثر تقبلاً في الوسط الجماهيري، خاصة وأنه يؤسس بدايات عهد سياسي جديد، وليس نهاياته المحتضرة..

اعتمد الزعيم الموحد علي عبدالله صالح في شق الطريق إلى الوحدة الوطنية لغة الحوار السلمي والتشاور وكان في مقدمة الأسباب التي أوصلته إلى مكسب الوحدة الوطنية هو التمهيد المسبق للعمل، حيث إنه حرص على الالتقاء مع قيادات القوى الوطنية السياسية والاجتماعية، والتشاور معهم فيما كان يعزم الإقدام عليه، والأخذ بالآراء والمقترحات الجيدة التي عرضوها عليه. بجانب ذلك فإنه حرص أيضاً على عدم تجاهل أو تهميش أية قوى وطنية ذات أثر في ساحة العمل السياسي، مهما كان موقفها من نظام الحكم، لدرجة أن الجبهة الوطنية الديمقراطية التي كانت تقود حرب العصابات على الحدود بين الشطرين وتهاجم القرى والمدن الخاضعة لنفوذ الشطر الشمالي، حصلت على فرصة عادلة من الحوار والمشاركة في لجنة الحوار الوطني التي اضطلعت بمهمة صياغة مشروع الميثاق الوطني، أسوة بغيرها من التيارات العاملة في الساحة اليمنية. أما العنصر الآخر في تركيب المعادلة السياسية بين القوى الوطنية فقد تمثل في نسبة 30% التي خص بها القرار الجمهوري رقم (9) لسنة 1981م رئاسة الجمهورية لتتولى تعيينهم، فيمكن تقييمها على إنها التفاتة ذكية من صناع القرار السياسي اليمني، كانت ترمي إلى موازنة المشاركة السياسية برموز فعالة ومؤثرة وفسح المجال أمام بعض العناصر السياسية التي كانت مستبعدة في العهود السابقة للمشاركة، وهو أمر أسهم في حل بعض الخلافات السياسية، وتخفيف شحنة التوتر بين القوى الوطنية، وظهور علامات الارتياح والرضا إلى حد ما من الجهود التي كان يبذلها الزعيم الموحد علي عبدالله صالح لتوحيد صفوف الوطن.. ولعل من أبرز صور ذلك الارتياح والرضا تجسد في سرايا المقاومة الشعبية (الجيش الشعبي) التي تشكلت في القرى والمدن اليمنية المختلفة لإسناد الوحدات العسكرية الحكومية في الحرب التي كانت تخوضها لمواجهة العصابات التخريبية الماركسية.. وذهب بعض الكتاب والباحثين إلى عزو نصف النصر الذي بدأ يتحقق منذ منتصف عام 1981م وحتى يوم (15 أغسطس 1982م)- الذي توقفت فيه العمليات القتالية- إلى تضاعف الالتفاف الشعبي الجماهيري من مختلف القوى الوطنية حول قيادة الزعيم الموحد علي عبدالله صالح.

بالرغم من كون تأسيس المؤتمر الشعبي العام جاء في إطار ملء الفراغ السياسي في ظل دستور دائم تحرم المادة (37) منه العمل الحزبي، إلا أن النتيجة التي نخلص إليها هي أن الميثاق الوطني الموصوف بالأساس الفكري للمؤتمر الشعبي العام قد اكتسب شرعيته الجماهيرية الوطنية من خلال صياغته على يد جميع القوى السياسية التي كانت قائمة آنذاك بمن فيها القوى المعارضة للسلطة مثل (الجبهة الوطنية الديمقراطية) و(الناصريون الذين حاولوا بالأمس القريب الإطاحة بنظام حكم الزعيم الموحد صالح) وغيرهم.. ومن ناحية ثانية، فإن المؤتمر الشعبي العام مثل وجهاً حقيقياً للائتلاف الشعبي العام كونه ضم بين صفوفه مختلف التيارات السياسية والقوى الوطنية التي كانت متواجدة على الساحة في زمن انبثاقه.. وعليه يصبح كل ما تحقق أولى الغايات الوطنية والأهداف الثورية التي ينجزها الزعيم الموحد علي عبدالله صالح، ولكن بشق الأنفس..

إن الأهمية التي يعطيها الزعيم الموحد صالح لهذه الخطوة تأتي من كونها قاعدة ارتكاز عوامل استقرار البلاد، وأمنها الوطني وهي العوامل التي لا بد منها في أية صناعة حضارية وبناء تنموي سريع.. مما تقدم ذكره تتجلى أمامنا صورة الزعيم الموحد علي عبدالله صالح بملامحها الفذة، وبريقها الوطني الصادق، ومهاراتها الخلاقة، وإنسانيتها الدفاقة التي لا يمكن لأبناء الأمة إعطاؤها حق قدرها.

ولأن العدوان الذي تتعرض له بلادنا يستهدف في المقام الأول وحدة الشعب اليمني وأرضه وسيادته واستقلاله، فقد كان المستهدف الأول من هذا العدوان هو الزعيم الموحد علي عبدالله صالح لأنه في نظر العدوان السد المنيع والصخرة الصلبة التي لا يمكن تجاوزها، ورغم العروض المغرية للزعيم المؤسس ولابنه السفير/ احمد علي عبدالله صالح بطائرات من المال المدنس مقابل التفريط في الوحدة اليمنية، إلا أن الزعيم المؤسس كان حيث اختار لنفسه أن يكون منذ نعومة أظفاره جندياً في صف اليمن الجمهوري الواحد الموحد، وهذه نتيجة طبيعية فالرجل الذي صنع هذا المنجز الكبير لا يمكن أبداً تحت أي ضغط أو إغراء أن يفرط في هذا المنجز التاريخي الذي هو مِلك لكل يمني من أقصى اليمن إلى أقصاه.

* رئيس فرع مؤتمر جامعة الحديدة- عضو اللجنة الدائمة

هكذا عشت يوم الثاني والعشرين من مايو 1990م

د/عبدالرحمن أحمد ناجي

وعلى وقع تلك المفاجأة السارة التي فجَّرها الرئيس الصالح بتلك الكلمات في ذلك التاريخ الاستباقي، تراقصت قلوبنا وأفئدتنا وكل جوارحنا وتفاعلت أقدامنا وأيادينا وكل مسامات أبداننا وأرواحنا طرباً وغبطةً وسروراً، وكنت يومها مازلت في الفصل الدراسي الثاني بالمستوي الرابع بكلية التجارة والاقتصاد جامعة صنعاء، وعلي وشك التخرج.

وكانت تلك أطول ليلة عشتها في حياتي حتى الآن، مرت تلك الليلة بثوانيها ودقائقها وساعاتها وكأنها سنوات ودهور، لم أنم يومها بانتظار انبلاج صباح اليوم التالي الذي لم تصنع أشعته شمس الضحى بل صنعناه نحن اليمانيين بأيدينا، تململت في فراشي وأنا أتقلب يميناً وشمالاً ثم جالساً ثم قافزاً مهرولاً في محيط غرفتي لعل النوم المجافي لي - ربما للمرة الأولى في حياتي -يتسرب لعيوني إن أنا أوصلت جسدي لحالة الإجهاد والإعياء الشديدين، لكنني لم أفلح وباءت كل محاولاتي بفشل ذريع، ولعلي ليلتها نظرت لساعتي عدداً لا يُحصى من المرات، وأنا كمن أصابه المس أحدثها وأناجيها بل وأتوسل إلى عقاربها فأحثها كي تتحرك بسرعة أكبر، كانت تجتاحني حالة غامرة من السعادة والترقب لا توصف شوقاً لبزوغ شمس ذلك اليوم المجيد الذي سيظل خالداً مخلداً للأبد.

وأخيراً بزغت أشعة ذلك اليوم وأنا أشعر أن روحي تكاد أن تزهق وترتفع لبارئها، لأبدأ معاناة ترقب جديدة، تسمرت فيها مقرفصاً أمام شاشة التلفزيون الرسمي منتظراً اللحظة التي سيطل فيها المذيع ليعلن اعتذاره للمشاهدين عن قطع برامج القناة الاعتيادية والانتقال لبث حي ومباشر من مدينة (عدن) لتغطية وقائع رفع العلم الوطني في ساحة قصر المعاشيق الرئاسي إيذاناً بميلاد الجمهورية اليمنية، ومازال إحساسي حتى تلك اللحظة منعدماً تماماً بالرغبة بالنوم، وليس هناك أي بوادر للنعاس على الإطلاق، يا الله كم يستطيع الإنسان الضغط على جهازه العصبي حينما يكون في مثل حالتي، منتظراً تحقق حدث تاريخي سيهز كل أرجاء الكون، وسيجعل عنقي وعنق كل عشاق هذا الوطن الأغلى من أرواحنا تطاول عنان السماء عزة وشموخاً وكبرياء، حدث هو بمثابة رد اعتبار لـ(اليمن) العظيم، الذي صار مثيراً للسخرية والتندر والفكاهة وهو على حالة الانشطار لدولتين، يا الله كم شعرت آنذاك وفي تلك اللحظات بمشاعر متناقضة، فكم كنا متقزمين وحقراء أذلاء في نظر كل شعوب الكون، ونحن دولتان تحملان رسمياً اسم (اليمن) العظيم، لكن بنظامين سياسيين متباينين جذرياً فكرياً وعقائدياً، وكلا النظامين يدَّعي أنه على حق وأن النظام الآخر على باطل.

يا الله ما أكرمك وما أعظمك وما أجل شأنك، أخيراً سينتهي كابوس التشطير للأبد وسيعود (اليمن) العظيم ملتئماً واحداً موحداً، أخيراً سيأذن الله بتحقق حلم أحلامنا وأجلّ غاياتنا ومقاصدنا، وحانت اللحظة المنتظرة وانتقل التلفزيون الرسمي الحكومي لنقل وقائع ما سيخطه اليمانيون بأناملهم في هذا اليوم المشهود وسيستعيدون به لهم ولأبنائهم وأحفادهم وكل ذرياتهم من بعدهم المجد اليماني التليد، واصطف الحاضرون من أعضاء مجلسي الشورى والشعب وأعضاء حكومتي الشطرين وبوجود لافت للزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في ساحة القصر الرئاسي مع اقتراب ظهر ذلك اليوم الأغر.

خرج الرئيس الصالح من القصر الرئاسي كما لو كان فارساً ممتطياً صهوة جواده، وإلى جواره أمين عام الحزب الاشتراكي آنذاك علي سالم البيض المسمى للتو نائباً للرئيس، وإلى جوارهما رئيس مجلس الشعب الأعلى حيدر أبو بكر العطاس والكاميرات تتبع خطواتهم حتى وصلوا إلى منتصف المكان حيث توجد سارية العلم، حينئذ بدأت مراسيم الميلاد، حيث قام أحد الجنود بإنزال العلم الجنوبي وطيه، وتسليم علم الجمهورية اليمنية للرئيس الصالح الذي احتضن ذلك العلم بكفيه واقترب به من وجهه ليقبّله ويغطي به كل تفاصيل وجهه وكأنه يستنشق متلذذاً عبق وشذى (اليمن) العظيم في تلك اللحظات المهيبة، ثم رفع العلم عالياً فوق رأسه وشرع برفعه بيديه في سارية العلم بمنتهي الهدوء، وأعين معظم الحاضرين في المكان مغرورقة بالدموع، وكان ذلك يقيناً هو حال كافة اليمانيين المشاهدين والمتابعين لتلك الوقائع التاريخية عبر شاشات التلفزيون المحلية والإقليمية والعالمية داخل الوطن وخارجه.

وفي نفس تلك اللحظات المزلزلة، وتزامناً مع ارتفاع راية العلم الموحد رسمياً في تلك الساحة، كانت كل الأعلام الشطرية تنتزع من كل الهيئات والمنظمات والمرافق الحكومية، وتستبدل بأعلام الدولة الوليدة التي ارتفعت ورفرفت خفاقة في عنان سماوات كل أرجاء الوطن، وحيثما تواجد أي مواطن يمني في كل أصقاع كوكب الأرض وبالأخص في السفارات والبعثات الدبلوماسية اليمنية خارج الوطن، وتعانقت أجساد اليمانيين بمنتهى المحبة والمودة، وعلت أصوات الابتهاج بالزغاريد والأهازيج والرقصات الوطنية في البيوت والساحات والميادين، وبدأ الرئيس الجديد يلقي كلمته ثم نائب الرئيس ثم أعطيت الكلمة للزعيم الفلسطيني الذي صرخ مبتهجاً ما أن وصل بجسده إلى أمام الميكرفون بأنها ليست وحدة أبداً، ليست وحدة، بل هي استعادة اللحمة اليمانية، وكان من قبل يردد دائماً بأن فلسطين هي الشطر الثالث لليمن المجزأ.

هل لك أيها القارئ الكريم أن تتخيل وتستشعر معي نبضات قلبي وكل كياني كما رويتها لك ووضعتك فيها في سطوري السابقات، لعلك تعيشها معي وتتذكر أدق تفاصيلها مجدداً لحظة بلحظة إن كنت ممن أنعم الله عليهم بوجودك شاهد عيان عليها، فيرتجف قلبك تلقائياً ولا شعورياً وتشعر بالقشعريرة وأنت تستحضر كل ما تتذكره عن حالك وحال كل من كان حولك خلال ذلك اليوم العظيم؟!، أما إن كنت ممن أذن الله لهم بالوجود بعد ذلك التاريخ، فإنني أسأل الله أن أكون قد نجحت بكرمه وعونه وتوفيقه من خلال كلماتي السابقات في وضعك في صورة ما كان عليه حالي وحال الملايين مثلي من اليمانيين في ذلك اليوم المجيد، لعلك تدرك مدى حماقة وغباء تلك المسوخ الآدمية التي تسعى اليوم بأقصى ما وهبها الله من قوة لفصم عُرى وحدة الثاني والعشرين من مايو المجيد وتمزيقها، مدَّعين أن ما يقومون به يعتبر عملاً وطنياً ممجداً يستحقون نظير قيامهم به الحصول على آيات الثناء والتبجيل وتزيين هاماتهم بأكاليل الغار وأطواق الفل والياسمين والكاذي، في حين أنهم دونما حياء أو خجل إنما يتجردون من كل ما يستر عوراتهم، لأنهم وبمنتهى البساطة لم يستكشفوا ولم يتذوقوا بأنفسهم مرارات ومكابدات التجزئة والتشطير.

واليوم وبالرغم من كل ما يجري في المحافظات الجنوبية مما يدمي قلوبنا، إلاّ أنه لاينتابني أي قلق ولا بما نسبته 1 %، كما لا يخالجني أدنى شك في أن العناية الإلهية كانت ومازالت وستظل محيطة بالأرق قلوباً والأذين أفئدة، والشواهد الحية على ذلك كثيرة، فرغم كل الابتلاءات والمنغصات التي لا يطيقها بشر، والتي نعيش في ظلها نحن اليمانيين، إلا أننا بفضل الله صامدون وعصيون على التركيع والانكسار ونحن نقترب من حاجز الثمانمائة يوم من تداعي الأمم وتكالبها علينا، وبالأمس القريب تجلت عناية الله بنا بالتعجيل بإعلان يوم ميلاد الجمهورية اليمنية ليرى وطننا النور مجدداً في الثاني والعشرين من مايو المجيد، بدلاً مما كان مخططاً له ومتفقاً عليه رسمياً بإعلانها في الثلاثين من نوفمبر من نفس العام.

ومازلت عند قناعتي الراسخة بأنه لو لم يتم إعلان الوحدة في ذلك التاريخ، لكان في حكم المستحيل إعلانها في أي تاريخ لاحق وربما للأبد، وكان يكفينا فقط أن تأتي محنة احتلال العراق للكويت في الثاني من أغسطس من نفس العام لتجهض وتعصف بأي أمل بتحقيق حلم الوحدة وفق ما كان مخططاً له، لأن ذلك الحدث الذي مازال يلقي بظلاله حتى الآن، ومازلنا نتجرع مرارته وآثاره حتى اللحظة كان كفيلاً بأن يتخذ كل شطر موقفاً سياسياً مغايراً بل ومتناقضاً مع الموقف السياسي للشطر الآخر، لنعود مجدداً لدوامة التناحر والاقتتال، لكنه لطف الله بهذا الشعب الذي سبَّب الأسباب وألهم الفاعلين السياسيين بالتعجيل بإعلان ميلاد الجمهورية اليمنية قبل ذلك الحدث الذي كان في علم الغيب آنذاك، ورأينا كيف أن الموقف السياسي الموحد للدولة الوليدة المعبر عن الإرادة الجماهيرية العارمة تجاهه تم تحريفه وتأويله ليجعل الشعب اليمني بأسره تحت وطأة دائرة الانتقام، بسبب القاعدة الغبية التي اعتمدها الجيران آنذاك ومفادها : أن كل من ليس معي فهو بالضرورة ضدي.

ألا تتفقون معي بعد كل ما تقدم أن رحمة الله بنا عظيمة ولا حدود لها؟، فبالرغم مما نحن فيه من بلاء عظيم هو فقط - في تقديري - لتطهيرنا وتزكيتنا وتنقية قلوبنا وأرواحنا وأبداننا، وأن يد الله مازالت فوق أيدينا، وأننا بكرمه تعالى أصبحنا أقرب ما نكون لزوال هذه الغمة وتفريج الكُرُبات، طالما استفدنا وتعلمنا واستلهمنا الدروس والعبرات والعظات.. وليس ذلك على الله بعسير.